أسباب تقوية الروابط الاجتماعية

كثير من تشريعات الإسلام تقوي الروابط الاجتماعية ، بل إن العبادات تعد أبرز الوسائل التي تعين على تقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد ، فالاجتماع ظاهر في الصلوات كلها ، وفي الزكاة تعامل مع ثمانية أصناف من أبناء المجتمع ، ويظهر معنى الجماعة جلياً في الصوم حين يمسك أبناء المجتمع الواحد في وقت واحد ، ويفطرون في وقت واحد ، كذلك الحج مؤتمر جامع للمسلمين يبرز فيه مفهوم الأمة الواحدة.

يضاف إلى هذا تشريعات وأحكام تتصل بالواجبات الاجتماعية والأخلاق الفاضلة ، كانت كلها أسباباً لتقوية الروابط الاجتماعية .

ومن هذه التشريعات التي هي

أسباب لتقوية الروابط الاجتماعية ما يلي :

الأول : تشريع صلاة الجماعة والجمعة والعيدين والجنازة :

أ ـ صلاة الجماعة :

فرض الله تعالى على أبناء المجتمع المسلم خمس صلوات في اليوم والليلة ، وأمرهم بأدائها جماعة في المساجد لحكم عظيمة منها أن يلتقي المسلمون تحت سقف واحد في صفوف متراصة ليكون هذا إشعاراً لهم بأنهم كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضاً . وقد شدد الإسلام في الأمر بالجماعة ، حتى توعد النبي ﷺ المتخلفين عنها بإحراقهم وإحراق بيوتهم عليهم ، فقال :" لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيَانِى أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِى بِحُزَمٍ مِنْ حَطَبٍ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّى بِالنَّاسِ ثُمَّ تُحَرَّقُ بُيُوتٌ عَلَى مَنْ فِيهَا "متفق عليه ، وجعل صلاة الجماعة أفضل بسبع وعشرين درجة من صلاة المنفرد كما ثبت في الصحيحين .

ب- صلاة الجمعة:

أوجب الإسلام على المجتمع المسلم صلاة الجمعة بشروط معينة ، قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وتوعد من يتخلف عنها بلا عذر شرعي فقال ﷺ: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين" رواه مسلم .

إن صلاة الجمعة مؤتمر أسبوعي اجتماعي يتحقق من خلاله منافع عدة ، يستمع فيه المصلون إلى توجيهات ومواعظ تعلمهم دينهم ، وترشدهم إلى الخير، وتقوِّم سلوكهم ، وتعالج مشاكلهم الاجتماعية في خطبتين .

وقد فطن بعض أعداء الإسلام لأثر صلاة الجمعة في تقوية المسلمين حين قال : لن نتغلب على المسلمين ما دام فيهم القرآن وصلاة الجمعة .

ج- صلاة العيدين:

شرع النبي ﷺ في هذين اليومين ، صلاة هي صلاة العيد ، لتكون لقاءً عاماً للمسلمين جميعاً في البلد ، ومؤتمراً اجتماعياً نصف سنوي لأبناء المجتمع الإسلامي كافة. ومن السنة أن تؤدى صلاة العيد في الصحراء القريبة من البلد ، ويخرج إليها الجميع رجالا ونساء ، حتى المرأة الحائض أمرت بالخروج لتشارك المجتمع ما هم فيه من خير وفرحة ودعوات صالحة ، وإن كانت لا تصلي .

ومما يؤكد الغرض الاجتماعي من صلاة العيد ، أنه يسن الذهاب إلى الصلاة من طريق والرجوع منها من طريق آخر، كما كان يفعل الرسول ﷺ؛ لتتاح الفرصة للقاء أكبر عدد من المسلمين ، لتبادل التهنئة معهم كما كان يفعل أصحاب النبي ﷺ.

الثاني :تشريع الإسلام للواجبات الاجتماعية الخاصة تقوية الروابط الاجتماعية:

عمل الإسلام على تقوية الروابط الاجتماعية بتشريع العديد من الواجبات الخاصة في دائرة الإنسان المحيطة به مباشرة، ومن ذلك ما يلي:

أ- بر الوالدين وطاعتهما:

جعل الإسلام برَّ الوالدين قولاً وفعلاً فرضَ عين على كل ابن وابنة ؛ وقرن ذلك بتوحيده جل وعلا فقال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن فعل المباح ينقلب إلى واجب إذا أمر به أحد الوالدين أو كلاهما، وأنه لا يجوز للابن أن يسافر في مباح إلا بإذن والديه ، بل حتى الجهاد لا يجوز بغير إذن الوالدين فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :"فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ" متفق عليه .

وفي رواية أبي داود: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبويَّ يبكيان ؟ قال: " ارجع عليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما .

وهكذا يكون بر الوالدين والإحسان إليهما من اسباب الترابط في بيئة الإنسان الخاصة المحيطة به ، وهو لا تزال آثاره مشهودة في المجتمع الإسلامي ، بينما تفتقدها المجتمعات الغربية كما هو مشاهد ، حيث يهجر الأبناء آباءهم ولا يسألون عنهم، وربما مرت الشهور وهم لا يعرفون شيئا عن أخبارهم وأحوالهم وما إذا كانوا في مرض أو عجز أو حاجة إلى إعانة.

ب- صلة الأرحام والإحسان إليهم:

الأرحام هم: أقارب الإنسان من جهة أبيه أو أمه ، كأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وأبنائهم جميعا . والقريب الذي تجب صلته هو من يلتقي مع الشخص في الجد الرابع (جد الأب أو الأم) . وقد أوجب الله تعالى صلتهم ، بأي شيء تحصل به الصلة ، وحرم قطيعتهم بأي شيء تحصل به القطيعة . قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ .أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾، توعد قاطع الرحم بعدم دخول الجنة فقال النبي ﷺ :"لا يدخل الجنة قاطع رحم " متفق عليه وقد وعد واصل الرحم بالخير العميم في الرزق والعمر ، فقال النبي ﷺ " من أحب أن يُبسَط له في رزقه ، ويُنسَأ له في أثرِه ، فليصِلْ رحِمَه " متفق عليه.

وإذا كانت صلة الأرحام على هذه الشاكلة الحميدة والمنافع العديدة، فهي تعتبر - بحق - سبباً من أسباب التآلف والترابط الاجتماعي التي عني بها الإسلام وأولاها رعايته واهتمامه.

ج- الإحسان إلى الجيران وتجنب إيذائهم:

والجيران على ثلاث درجات كما تدل عليه النصوص الشرعية العامة : جار له حق واحد ، وهو الجار الكافر ، له حق الجوار ، وجار له حقان ، وهو الجار المسلم ، له حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له ثلاثة حقوق ، وهو الجار المسلم ذو الرحم ، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم.

وقد دعا الإسلام إلى إكرام الجار في سبيل زيادة التآلف الاجتماعي ، وأوجب له حقوقا كثيرة .

وقد أمر الله بالإحسان إلى الجار وقرنه بعبادته وتوحيده فقال :{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ } وقال النبي ﷺ :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرم جاره " متفق عليه ، وقال: " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه " متفق عليه . وقال :"والله لا يؤمن ـ كررها ثلاثا ـ الذي لا يأمن جارُه بوائقَه " رواه البخاري ، ورواه مسلم بلفظ" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ " .

هذه نماذج وصور من الواجبات الاجتماعية تجاه الجيران، فإذا قام كل إنسان بحقوق جيرانه ، أصبح أفراد المجتمع جميعا متحابين متعاضدين ؛ لأنهم جميعا جيران ، سواء في السكن أو في العمل والأسواق أو في المزارع.

الثالث : دعوة الإسلام إلى أسباب التآلف الاجتماعي العام تقوية للروابط الاجتماعية:

ومما شرعه الإسلام من أسباب التآلف الاجتماعي ،التي انقلبت إلى حقوق ثابتة للمسلم على أخيه المسلم، لا يسعه التساهل فيها أو تركها، ما يلي:

أ-إفشاء السلام:

ومعناه: نشره وتعميمه على الناس بالصيغة المأثورة: (السلام عليكم) لا بغيرها من الصيغ الوافدة كقول: " صباح الخير " أو " مرحبا " أو تحريك الرأس أو العينين ، أو نحو ذلك مما فيه هجر للتوجيهات والشعائر الإسلامية ، ولا يمنع من ذكر هذه الألفاظ ونحوها بعد السلام.

وقد شرع الإسلام إفشاء السلام وأوجب رده ؛ لما فيه من تقوية للتآلف الاجتماعي العام ونشر للمودة بين الناس. قال رسول الله ﷺ: " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم " رواه مسلم . وفي سنن أبي داود :" مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ". وابتداء السلام سنة ، ورده واجب ، يأثم تاركه ويحاسب عليه ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾

ب- توقير الكبار والعطف على الصغار:

ليس من دين ولا نظام حث على توقير الكبار، ورحمة الصغار ، كما فعل الإسلام ، فقد عدَّ هذا طاعة يتقرب بها الإنسان إلى خالقه، ففي الحديث الشريف: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا"رواه أحمد والترمذي .

ج- أسباب أخرى تقوِّي التآلف الاجتماعي:

شرع الإسلام العديد من الأسباب الأخرى في التآلف الاجتماعي، وجعلها من الحقوق الثابتة للمسلم على المسلم ، ومن ذلك : الدعاء له ، وإجابة دعوته ، وتبادل الزيارة معه، وتشميته إذا عطس ، وعيادته إذا مرض ، وبرُّ قسمه ، وستر عثراته ، والصفح عنه ، وإسداء النصيحة له، وإيثاره على النفس ، وصدقه في الحديث ، والذب عنه في غيبته ، وأن تحب له ما تحب لنفسك ، وأن يكون قلبك سليماً عليه ، وأن تشهد جنازته إذا مات. والأصل في هذا حديث: " حقُّ المسلم على المسلم خمس: رد السلام ، وعيادة المريض ، واتِّباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس " متفق عليه .

الرابع : دعوة الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة تقوية للروابط الاجتماعية:

اعتنى الإسلام بالأخلاق اعتناء فاق كل تصوُّر ، وقد بلغ من عنايته بها أن جعل تحقيقها من غايات البعثة النبوية كما قال النبي ﷺ " إنما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق " رواه الحاكم ، وفي رواية "صالح الأخلاق" رواه أحمد . وقال: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ" رواه أحمد والترمذي وزاد:" وإن الله تعالى ليُبغِض الفاحشَ البذئ "

ومن المكارم الأخلاقية المهمة التي دعا إليها الإسلام ما يلي :

أ ـ الصدق :

وهو التزام الحقيقة دائما، ظاهراً وباطناً، في الأقوال والأفعال . قال النبي ﷺ:
" عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" متفق عليه .

ولا يخفى أن للصدق مظاهر يتجلى فيها، ومن ذلك: الصدق في المعاملة ، والعمل ، والحديث ، والوعد ، وردِّ الأمانة ، قال النبي ﷺ: " آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان" متفق عليه. ومنها أيضاً: صدق الحال والسريرة مع الناس، قال النبي ﷺ :" إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ " متفق عليه .. وهذا ما يسمى اليوم: النفاق الاجتماعي، وهو من أخطر الأمور على مسيرة أي مجتمع ونهضته.

إن للصدق ثمرات يسعد بها الفرد والمجتمع ، ومن ذلك: راحة النفس : قال النبي ﷺ: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة " رواه الترمذي .ومنها: حصول البركة: قال النبي ﷺ: " الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا" متفق عليه). ومنها: الفوز برضوان الله ودخول جنته، ومنها: استقرار التعامل بين الناس، وكسب ثقتهم ، ونحوها مما يزيد في تقوية الروابط الاجتماعية .

ب ـ الحياء:

الحياء نوعان:

نفساني خلقه الله في عامة الناس مسلمهم وكافرهم ، كالحياء من كشف العورة .	وإيماني خاص بالمؤمنين ، وهو الحياء الذي يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى .

والحياء غير الخجل المذموم الذي هو ضعف في النفس .

قال ﷺ : " الحياء شعبة من الإيمان " متفق عليه .

أما نقيض الحياء: فهو الوقاحة والبذَاء في القول أو الفعل، وقد قال ﷺ :"وإن الله تعالى ليُبغِض الفاحشَ البذئ " رواه الترمذي . ومن الملاحظ أن الناس جبلوا على حب الحيي اللطيف، وكراهة البذئ الفاحش

ج-البشاشة وطلاقة الوجه:

وهي من الصفات التي تدل على حسن في الخلق ، واعتدال في المزاج، وسلامة في الصحة النفسية، كما أنها من أهم الأسباب التي تقربك من الناس، وتوثّق علاقتك بهم، وتكسبك محبتهم وثقتهم ، ولهذا أمر النبي ﷺ بها فقال :"لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ" رواه مسلم .

وعن جرير بن عبد الله البجلي أنـه قال: " ما رآني النبي ﷺ إلا تبسم في وجهي" متفق عليه . أما صاحب الوجه العبوس والجبين المُقطّب فغالبا ما يعاني من اضطرابات نفسية ، ويعيش في حالة من الاكتئاب والهموم التي لا نهاية لها ، وهو لا يُبقي له على صديق ؛ لسوء خلقه وكثرة شروره، فيتحاشاه الناس ويستعيذون منه.

د- المداراة والتلطّفُ بالآخرين:

المداراة هي: التلطف بالإنسان والرفق به ليقبل الحق ، أو للحد من ضرره ، وهي غير المداهنة المذمومة ، وهي إقرار المخطئ على خطئه وتزيين الشر لفاعله أو ترك الحق مجاملة للآخرين .

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺفَلَمَّا رَآهُ قَالَ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺفِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ " رواه البخاري .

والغاية من المداراة : تجنُّب إثارة الخلاف مع الآخرين للوصول بهم إلى الحق ، وهي تدل على كمال في العقل وحسن في الخلق ، والمداراة علامةٌ على بُعْد النظر، وسَعَة الحلم ، لأن النفوس غالباً ما تشمئز ممن يعاكس مرادها ويستفزها، والمداراة توقف ذلك، وتمتصُّ الانفعال والنفور.وهكذا تكون المداراة ودماثة الخلق والتلطف بالناس ، عوامل جَذْب وكسب للآخرين ، تحبب صاحبها إليهم فيثقون به، ويعتمدون عليه، ويرتاحون إليه.

هـ ـ أخلاق أخرى دعا إليها الإسلام وأخلاق حذر منها:

هناك قيم إنسانية وأخلاق فاضلة أخرى ـ لا تقل أهمية عما سبق بيانه ـ دعا إليها الإسلام أيضاً، ومن ذلك: طيب الكلام، والتواضع، والأمانة، والحلم، والكرم، والعدل، والإحسان، والإيثار، ومواساة الآخرين، وتركُ المراء والجدال، والقناعة، وبذلُ الجاه والمعروف للآخرين، وإغاثة الملهوف، والإصلاح بين الناس، والأمر بكل خير وبر، والنهي عن كل إثم وشرٍّ...

وفي مقابل ذلك حذر الإسلام ونهى عن كل خلق لئيم سيئ ، يسخط الله تعالى، ويجلب الشرور والآثام على صاحبه ، ويضر بالمجتمع ، ويفقده الأمان والاستقرار ، ويفسد الحياة العامة ، ومن ذلك: السرقة ، والزنى ، والرشوة ، والخيانة ، والشح ، والكِبْر ، والتجسس على الناس ، وسوء الظن بهم ، والنميمة ، وكثرة الحلف ونشر الإشاعات، واليأس من رحمة الله... والأصل في عموم ما سبق من الأخلاق الحسنة وضدها قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.